الجغرافيا البشرية والفلسفة

س. إلدن، جامعة دورهام، المملكة المتحدة

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

مقدمة

لطالما ارتبطت الجغرافيا بالفلسفة ، كتب العديد من كبار مفكري التراث الفلسفي الغربي صراحةً حول العديد من القضايا الرئيسية التي تهم الجغرافيين . وشملت هذه القضايا مناقشات في الميتافيزيقيا والفيزياء حول الطبيعة والزمان والمكان والإنسان ؛ والمنطق ونظرية المعرفة حول طبيعة المعرفة والمنهج العلمي ؛ والأسئلة الأخلاقية حول السلوك وتنوعه المكاني ، والتنظيم السياسي ، والاختلاف الثقافي ، ودورنا في العالم

شملت الفلسفة ، تقليديًا ، نطاقًا أوسع بكثير من الجوانب مقارنةً بالتخصص الجامعي الذي يندرج تحت هذا العنوان اليوم . الفلسفة ، حرفيًا ، **هي حب الحكمة** ، ويمكن القول إنها تُشكل الأساس للحجج الجوهرية في العلوم الإنسانية والفيزيائية . على سبيل المثال ، كان مجال الفيزياء يُعرف سابقًا بالفلسفة الطبيعية ، إذ إن مصطلح "فيزياء" مشتق من الكلمة اليونانية "فيزيس" التي تعني الطبيعة . ومن أهم رؤى الفلسفة أن أفكارنا المفترضة تعتمد على حجج سابقة ، وأن تتبع تاريخ مجالات المعرفة البشرية يمكن أن يوفر نظرة ثاقبة حول كيفية وصولنا إلى طريقة تفكيرنا . يمكن أن تكون الفلسفة مجالًا للمزايدة ، لأنها غالبًا ما تعتمد على الدقة المفاهيمية ومعرفة المفكرين السابقين وأفكارهم ، إلا أن تأثيرها المحتمل كبير.

ويمتد هذا عبر نطاق اهتمامات الجغرافيا ، فالعديد من الفلاسفة العظماء ، مثل غوتفريد لايبنتز ورينيه ديكارت وأرسطو ، كانوا علماء بارزين في حد ذاتهم ، والعديد من رواد النظرية الاجتماعية / المكانية الذين كان لهم تأثير كبير في الجغرافيا البشرية المعاصرة تلقوا تدريبًا في الفلسفة . تميل الفلسفة إلى التجريد من الجزئيات ، سواءً من خلال الملاحظة الأولية والتعميم من الأنماط لإنتاج نظرية تفسيرية ، أو من خلال البدء بحجة منطقية تُستخدم بعد ذلك لفهم العالم . وقد كان تأثيرها ملموسًا على مدار تاريخ هذا التخصص . في العصر الحديث ، كانت كلٌّ من الوضعية أو علم الجغرافيا المكاني ، أو رد الفعل ضدهما في الإنسانية أو نظرية ما بعد الوضعية ، استخداماتٍ للحجج الفلسفية .

التراث الفلسفي

الفكر اليوناني المبكر

ضمن التراث الفلسفي الغربي - المفكرون والنصوص الرئيسية منذ نشأته - هناك عدد من الفلاسفة الذين فكروا صراحةً في الاهتمامات الجغرافية . منذ بداية الفكر الغربي المحفوظ ، في شذرات نصوص ما قبل سقراط (التي سُميت كذلك لأنها سبقت سقراط) ، اهتم الفلاسفة بطبيعة العالم . على سبيل المثال ، شبّه هيراقليطس التغيير في العالم بطفل يلعب لعبة ، مقترحًا عناصر الصدفة ضمن قواعد تُشكل مصيره . ومع ذلك ، فقد كانت مجموعة لاحقة من المفكرين اليونانيين هي التي حددت الكثير من طريقة تفكير الفلسفة ، والمصطلحات التي استخدمتها . قدّم سقراط ، الذي عُرضت أفكاره في حوارات مع تلميذه أفلاطون ، نموذجًا للبحث الفلسفي ، بالإضافة إلى العديد من الأسئلة الرئيسية نفسها . غالبًا ما تفتقر كتابات أفلاطون ، التي تغطي كامل نطاق البحث البشري ، إلى مواضيع محددة ، وتظهر قضايا تهم الجغرافيين في جميع أنحائها . يحاول حواره "طيماوس" تقديم تفسير لأصل الكون ، مع فكرة الخالق والقوانين التي تحكمه . كما أنه مهم لمناقشته

لـ"الخورا" ، وهو مصطلح يُترجم أحيانًا بشكل مضلل إلى "الفضاء" ، ولكنه أقرب إلى مفهوم المكان ، أو الموقع ، أو وعاء لشيء ما .

كان أرسطو أكثر طلاب أفلاطون تألقًا ، إذ تُعدّ أعماله الباقية مجرد ملاحظات لمحاضرات ، وبالتالي ، تميل إلى أن تكون أكثر منهجية وأقل أدبية من أعمال أسلافه . كتب أرسطو في جميع مجالات المعرفة الإنسانية تقريبًا ، من علم الحيوان والأحياء إلى تأملات في المسرح والبلاغة . أجرى عددًا من التحليلات لمسائل في اللغة والمنطق ، ودرس التنظيمات السياسية والاجتماعية بطريقة مقارنة . يحتوي كتابه "الأخلاق النيقوماخية" على تأملات وحجج لا تقتصر على الأخلاق والعدالة والفضيلة فحسب ، بل تتضمن أيضًا مناقشات حول طبيعة المعرفة والتقسيم بين الحكمة العملية والفلسفية .

يقدم كتابه "البلاغة" أكثر من مجرد تحليل للكلام ، بل مناقشات حول المزاجات والمجتمع الجماعي . في كتابه "الفيزياء" ، يُحلل أرسطو مجموعةً من الاهتمامات المتعلقة بالمكان والطبيعة والحركة ، أما كتابه "الميتافيزيقا" - الذي سُمي بهذا الاسم لأنه جاء بعد كتاب "الفيزياء" - فهو مجموعةٌ من الأطروحات النظرية حول الوجود والمادة والرياضيات . يُظهر عمل أرسطو نسخةً مبكرةً مما يُمكن تسميته بالمنهج العلمي ، بمزيجٍ من التأمل المجرد والملاحظة العملية . استنتج أن الأرض كروية الشكل لأنه لاحظ خسوف القمر، واستنتج ذلك من الظل المُلقى على سطح القمر.

مهّد عمله في علم الأحياء والتشريح المقارن الطريق لكثير من التحليلات المستقبلية . يرتبط عمله في الحركة في الفيزياء بفهمه للمكان . بالنسبة لأرسطو، المكان صفة متأصلة في الكائنات ، إنه قدرتها على التواجد . ومع ذلك ، فإن الامتداد المادي لجسم ما لا يكفي لفهم المكان . للأجسام ، بالنسبة لأرسطو ، مكانها الخاص ، وبالتالي ، ترتبط الحركة بهذا الفهم للمكان . تميل الأشياء الثقيلة إلى الأسفل ، ويميل الهواء والنار إلى الأعلى . تتحرك الأجرام السماوية في حركة دائرية . هذه حركات طبيعية . اعتقد أرسطو أن سرعة السقوط تتناسب طرديًا مع كل من وزن الجسم وكثافة الوسط الذي يسقط من خلاله . في نظرية أرسطو، المكان لا يتحرك ، والشيء المتحرك فقط هو الموجود في مكان . الحركة ليست عفوية ، ولذلك ، لا بد من وجود مُحرك دائمًا ، مما أدى إلى ظهور فكرة أن الله هو المحرك الرئيسي - الكائن الذي يُحرك الأشياء في البداية.

فلسفة العصور الوسطى

لا تُوصف فترة العصور الوسطى بشكل مباشر، بل يُفهم عادةً من خلال علاقتها بعلم اللاهوت . من المؤكد أن العديد من المفكرين الرئيسيين كانوا علماء لاهوت وفلاسفة - من بينهم أوغسطين وتوما الأكويني . قد يكون لدى هؤلاء الكُتّاب ميلٌ للتراجع عن فهم هذا العالم لصالح التفكير في أمور أخرى . كان لعمل أرسطو تأثيرٌ كبير في هذه الفترة ، وكثيرًا ما كان يُشار إليه ببساطة باسم "الفيلسوف" . كانت العديد من التطورات الرئيسية في هذه الفترة نتاجًا لتأثيرات المفكرين العرب ، مثل الإدريسي ، الذي كانت تأملاته في الجغرافيا ورسم الخرائط مهمة لقرون عدة .

ديكارت والفلسفة الحديثة

نشأت الفلسفة الحديثة من عصر النهضة وعودة عدد من نصوص القدماء إلى التداول العام . ويمكن النظر إلى فلسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر، ولو بشكل سطحي ، على أنها نقاش مطول بين العقلانيين والتجريبيين . فبالنسبة للعقلانيين ، ومن بينهم ديكارت ، ولايبنتز ، وباروخ سبينوزا ، يُمكن فهم العالم من خلال عمليات العقل المجردة .

ديكارت هو المثال النموذجي

في أعمال ديكارت ، ينقسم العالمان المادي والعقلي بشكل صارم . اقترح ديكارت أنه من أجل بناء معرفة راسخة ، عليه أن يشك في كل ما لا يستطيع التأكد منه . وجادل بأنه لا يستطيع الشك في أنه يشك ، وبالتالي ، يمكنه أن يكون متأكدًا من أنه يفكر . **ولأنه كان يفكر ، كان بإمكانه أن يكون متأكدًا من وجوده** ، ومن هنا جاءت العبارة الشهيرة أنا أفكر، إذن أنا موجود . هذا يعني ، بالنسبة لديكارت ، أن هناك أشياءً معينة يمكن وصفها بأنها res cogitans ، أي أشياء مفكرة . كل شيء آخر له مظهر فيزيائي ، مادي أو مادة . وصفها بأنها res extensa، أي أشياء ممتدة ، لأنه استنتج أن الامتداد في ثلاثة أبعاد هو سمتها المركزية والأساسية .

أما الخصائص الأخرى للأشياء المادية - مثل وزنها ولونها وشكلها - فكانت ثانوية . مثال ديكارت على ذلك هو أخذ قطعة من الشمع وإجراء عدد من الملاحظات عليها . سيؤدي تسخين الشمع إلى تغيير كل شيء تقريبًا - لونه وشكله ورائحته ، على سبيل المثال - ولكن ليس أنه يشغل حيزًا ، بل أنه ممتد . لذلك ، عرّف ديكارت **الجسم المادي** بأنه محدود ، محصور في مكان ، ويملأ الفراغ . الجزء الأخير من هذا مهمٌ للغاية - **الفضاء** وعاءٌ ممتدٌّ في ثلاثة أبعاد ، تملأ الأجسام جزءًا منه حصريًا ، مستبعدةً الأجسام الأخرى من ذلك الفضاء نفسه .

يمكن للأشياء أن تكون في المكان نفسه - أزواج أحذية مختلفة في خزانة ، على سبيل المثال - ولكن ليس في الفضاء نفسه ، الفضاء محدودٌ وحصري . لذلك ، يفهم ديكارت **الحركة** على أنها حركةٌ عبر الفضاء ، والموقع على أنه الموقع الذي تتخذه الأشياء ذات الأشكال المختلفة بالنسبة لبعضها البعض ، والشكل وتغيره على أنه يعتمد على حدّ الامتداد . هذا يُنشئ طريقةً خاصةً لرؤية وتصور العالم المادي ككل . الامتداد في ثلاثة أبعاد - الطول والعرض والعمق - هو السمة المركزية للطبيعة ، والهندسة هي العلم الذي يتيح لنا الوصول إليها على أفضل وجه . بعبارة أخرى ، هناك تحديدٌ رياضيٌّ للعالم المادي .

يُعدّ عمل ديكارت في الهندسة بالغ الأهمية في حد ذاته ، إذ طوّر هندسة تحليلية أو إحداثية تسمح باختزال المسائل الهندسية إلى أرقام – معادلات ، أو طول (أي كمية) الخطوط . وقد انتقد العديد من الجغرافيين المعاصرين هذا التجريد والرياضيات ، بمن فيهم النسويات اللواتي يعدنه ذكوريًا . بالنسبة للتجريبيين ، ومنهم جون لوك ، وبيشوب بيركلي ، وديفيد هيوم، فإن ملاحظة العالم المادي وتعميم القواعد الناتجة عن هذه الملاحظة هي الطريقة الصحيحة للمضي قدمًا . قد يكون التنبؤ صعبًا ، ولكنه ليس مستحيلًا ، ويستند إلى تعميم التجربة .

اقترح هيوم الشهير أن جميع الأعمال يجب تقييمها بناءً على معيارين بسيطين - ما إذا كانت تحتوي على "استدلال تجريدي يتعلق بالكم أو العدد" أو "استدلال تجريبي يتعلق بمسألة الواقع والوجود" . إذا كانت الإجابة لا على كليهما ، فقد اقترح أن "نلقيها في النار لأنها لا يمكن أن تحتوي إلا على المغالطة والوهم" . كان للتجريبية تأثير كبير على ما يمكن عده وجهة نظر منطقية للجغرافيا ، حيث يؤدي جمع البيانات إلى وصف العالم وخصائصه وسكانه.

كانط

يُعد إيمانويل كانط عمومًا أهم فيلسوف منذ أرسطو . ومن مزاياه العديدة أنه قدّم طريقة للتوفيق بين المواقف العقلانية والتجريبية ضمن نموذج فكري موحد . كما اعتقد أن هناك أمورًا تقع خارج نطاق الفكر العقلاني ، مثل وجود الله . وقد دحض بشكل مقنع الحجج والبراهين على وجود الله ، مشيرًا إلى أن هذا الأمر يتعلق بالإيمان . في أهم أعماله ، "نقد العقل الخالص" عام ١٧٨١، حاول كانط الجمع بين التجربة والعقل .

واقترح أن هناك أنواعًا مختلفة من العبارات التي يمكننا الإدلاء بها حول العالم . يمكن أن تكون العبارات إما تحليلية أو تركيبية - أي أنها تشرح معاني المصطلحات أو تضيف شيئًا إضافيًا . ستكون العبارات التحليلية من نوع "جميع الآباء ذكور" أو "الأشياء الخضراء ملونة" - وهي عبارات يكون نفيها عبثيًا ، ولا تحتاج إلى إثبات .

ستكون العبارات التركيبية من نوع "كانط كان فيلسوفًا" أو "النحاس موصل للكهرباء" - وهي أشياء ليست بديهية بطبيعتها . يمكن أن تكون العبارات أيضًا بديهية أو لاحقة . هناك أشياء نعرفها قبل التجربة وأشياء نعرفها بعدها . هذان التقسيمان للعبارات ليسا منفصلين - فمن الواضح أن جميع العبارات التحليلية بديهية وأن جميع العبارات اللاحقة تركيبية . هذا يترك السؤال حول ما إذا كانت العبارات التركيبية البديهية ممكنة . أنكر هيوم إمكانية وجودها ، بينما يعتقد كانط أنها ممكنة . بالنسبة لكانط ، فهي مزيج من المفاهيم والجزئيات ، من العقل والخبرة . بينما يقترح التجريبيون أن جميع معرفتنا يجب أن تتوافق مع التجربة ، يقول كانط إن جميع التجارب يجب أن تتوافق مع المعرفة . ما يعنيه هذا هو أننا لا نستطيع التجربة إلا ضمن إطارنا المفاهيمي .

لذلك ، يقترح كانط أن التجربة شرط "ضروري" للمعرفة (مما ينتقد العقلانيين) ، لكنها ليست شرطًا "كافيًا" للمعرفة (مما ينتقد التجريبيين) . عبارة كانط الشهيرة هي : "الأفكار بلا محتوى فارغة ، والحدس بلا مفاهيم عمياء". الإطار المفاهيمي الذي نختبر العالم من خلاله يعني ، بالنسبة لكانط ، أن عقولنا مبنية بطريقة معينة . يقترح ، وهو أمر حاسم بالنسبة للجغرافيين ، أن المكان والزمان مفهومان قبليان - أي أنهما يسبقان التجربة - ويعملان على هيكلة العالم الذي ندركه . يُطلق على هذين المفهومين اسم "الجمالية المتسامية" ، المشتقة من الكلمة اليونانية "aisthesis" أي الإدراك .

لا يمكننا التفكير دون استخدام هذه المفاهيم - فهي أشبه بالرؤية من خلال نظارة ملونة ثابتة . وبالتالي ، فإن المكان والزمان بالنسبة لكانط هما جزء من جهازنا الإدراكي ، والطريقة التي ندرك بها العالم ، وليس ما ندركه ، مما يعني **أننا نختبر داخل المكان والزمان بدلاً من تجربة المكان والزمان نفسيهما**. لذا ، فإن المكان والزمان محددان مسبقًا في فكر كانط ، فالعالم المادي يُفهم قبل أن نُختبره ، وبالتالي ، فإن ما نختبره مشروط بمعرفتنا السابقة . وهكذا ، تصبح حدود النظام حدود التجربة ؛ ويصبح تكوين فكر الطبيعة حدود الطبيعة نفسها . لا تعود الطبيعة كما كانت إلا من خلال النظام الذي تُفهم من خلاله .

كتب كانط عددًا من الأعمال المهمة الأخرى ، بما في ذلك نقدان آخران - نقد العقل العملي ، عام ١٧٨٨، ونقد سلطة الحكم ، عام ١٧٩٠، يتناولان الأخلاق والجماليات والغائية . كما ألقى محاضرات في الأنثروبولوجيا والجغرافيا الطبيعية لسنوات عدة . بينما حرّر كانط الجزء الأول في كتاب بعنوان "الأنثروبولوجيا من منظور براغماتي" عام ١٧٩٨، فإن الجغرافيا الطبيعية لا توجد إلا كمجموعة من نصوص المحاضرات . اعتقد كانط أن الأنثروبولوجيا والجغرافيا معًا تُوفّران معرفةً بالعالم ، مما شكّل أساسًا تجريبيًا لفكره . وقد دُرّسا كلاهما لبعدهما البراغماتي ، وما يُمكن أن يُقدّماه كدليلٍ لحياتنا الأخلاقية والعملية . وهذا يقود كانط إلى ما يُسمّيه "الجغرافيا الأخلاقية"، التي تتناول عادات وشخصيات الشعوب المختلفة ، وبعض الآراء البالية والمُفقَدة حول العرق .

قدّم كانط مناقشاتٍ مُوسّعة حول التفكير المُعاصر حول الأرض وتضاريسها ، والزلازل ، والمناخ ، والأنهار والمياه ، والنباتات ، والحيوانات ، والمعادن . أما الجزء الأخير من الكتاب فهو سلسلة من الأوصاف لمناطق وأماكن مُحدّدة في العالم . في حين أن الكثير من التفاصيل قد يكون عتيقًا ، وبالتالي ذا أهمية تاريخية فحسب ، فإن أسلوب كانط في هيكلة المعرفة الجغرافية وعلاقتها بفكره ككل له أهمية دائمة . تكمن هذه الأهمية في طريقة **فهمه للجغرافيا كقوة موازنة للتاريخ ، وفي تنظيم المعرفة** . بالنسبة لكانط ، تقع جميع

الأشياء المُدرَكة في تصنيفات منطقية ، مثل تصنيفات لينيوس ؛ وفي المكان والزمان . يتعامل المنطق مع التصنيف الأول؛ والفيزياء مع المكان والزمان ، ومن بين هذه التصنيفات ، تتعامل الجغرافيا مع المكان؛ والتاريخ مع الزمان.

لذلك ، تتيح لنا الجغرافيا الوصول إلى ترتيب العالم وتصنيفه . في الواقع ، يُميز كانط الجغرافيا ، كوصف للعالم بأسره ، عن التضاريس ، كوصف للأماكن الفردية ، والكوروجرافيا ، كوصف للمناطق . كان تأثير كانط الفعلي في الجغرافيا متذبذبًا ، إذ كان مخطط العلاقة بين الزمان والمكان ، وبين الجغرافيا والتاريخ ، أكثر أهمية من التفاصيل التجريبية والتحليلية . ومع ذلك ، كان لفكره الفلسفي الأوسع نطاقًا في مقولات المكان والزمان أهمية بالغة في تشكيل طريقة تعامل الفلسفات اللاحقة في هذا الموضوع مع هذه المواضيع . كانت فلسفة جورج فيلهلم هيجل ، وخاصةً فلسفته السياسية للدولة ككائن عضوي ، مؤثرة في الجغرافيا السياسية الألمانية في القرن التاسع عشر.

أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ولا سيما في أعمال فريدريش راتزل . بعد كانط ، أصبحت الفلسفة أقل توحدًا بكثير . في الواقع ، غالبًا ما تكاد النماذج السائدة في الفلسفة الغربية تتفق على من يُعد فيلسوفًا بعد هذا التاريخ . يشمل التقليد الأوروبي القاري هيجل والرومانسيين الألمان ، وكارل ماركس ، وفريدريش نيتشه ، وحركة الظاهراتية التي يجسدها إدموند هوسرل ، ومارتن هايدغر، ثم مجموعة من مفكري ما بعد الحرب العالمية الثانية في فرنسا ، مثل جان بول سارتر ، وميشيل فوكو ، وجاك دريدا . من ناحية أخرى ، تميل الفلسفة التحليلية ، أو الأنجلو أمريكية ، إلى استمداد تأثيرها من مصادر أخرى ، مثل غوتلوب فريج ولودفيغ فيتجنشتاين ، والبراغماتيين الأمريكيين ، وفلاسفة اللغة العادية الذين حلّلوا كيفية عمل اللغة بدلًا من العقل المجرد . كلا هذين التراثين ، والنقاشات الدائرة بينهما ، لها الكثير لتقوله حول جوانب الاهتمام الجغرافي .

الوضعية

يمكن وصف الوضعية في الجغرافيا بأنها استخدام المنهج العلمي الحديث . وعلى الرغم من أنها بلا شك أكثر تأثيرًا في الجغرافيا الطبيعية ، إلا أن لها تأثيرًا كبيرًا في الجغرافيا البشرية أيضًا . ومثل هيوم ، تشير الوضعية إلى وجود نوعين من العبارات ذات المعنى . تلك التي تكون صحيحة منطقيًا ، مثل تلك المتعلقة بطبيعة الرياضيات أو اللغة ؛ وتلك التي يمكن التحقق منها من خلال الملاحظة التجريبية . أي شيء آخر ميتافيزيقي ، وفي النهاية ، لا معنى له . وهذا يؤدي إلى التركيز على الملاحظة ، التي تستند فقط إلى ما يُرى مباشرةً بدلاً من استنتاجه ، وأولوية ذلك على الافتراضات النظرية . وينبغي تطوير النماذج والنظريات انطلاقًا من هذه الملاحظة التجريبية . يمكن توجيه الملاحظة بفرضية سابقة ، بحيث يُنظّم الفكر العقلاني عملية الاستقصاء ، لكن هذه الفرضية كانت قابلة للاختبار، وبالتالي قابلة للدحض .

في هذا، تأثر الوضعيون بفلاسفة أوائل القرن العشرين ، وخاصةً فلاسفة حلقة فيينا . اقترح أحدهم ، كارل بوبر، أن معايير صحة العلم لا ينبغي أن تكون وجود أمثلة تُثبته ، بل وجود أمثلة تُدحضه . بعبارة أخرى ، لا تكمن قوة النظرية في كونها عامة بما يكفي لتبدو وكأنها تُفسّر، بل في كونها ضيقة ومُركّزة بما يكفي بحيث إذا ثبت عدم صحة تنبؤ ما ، فستُكشف النظرية . هذا هو معيار قابلية التفنيد . بالنسبة لبوبر، وآخرين ، كان هذا يعني أن الادعاءات التفسيرية للكثير من العلوم الاجتماعية لم تكن علمية على الإطلاق . في العلوم الاجتماعية والجغرافيا البشرية بشكل أكثر تحديدًا ، أدى هذا إلى تطوير عدد من التقنيات الكمية والإحصائية . كان الهدف هو ترسيخ الجغرافيا كعلم مكاني ، مع إزالة الأحكام القيمية واستخدام الأساليب العلمية . يُعرف هذا أحيانًا بالثورة الكمية في الجغرافيا. كان كتاب ديفيد هارفي "الشرح في الجغرافيا" الصادر

عام ١٩٦٩ مرجعًا رئيسيًا في هذا المجال ، ولكنه يمتد أيضًا إلى بعض أشكال رسم الخرائط وتحليل المواقع . كما يوفر الكثير من الأساس المفاهيمي لمطالبات أنظمة المعلومات الجغرافية(GISs) ، والتي ترتبط عمليًا ارتباطًا وثيقًا بالتجريبية.

الإنسانية والماركسية

كانت هناك ردود فعل متباينة على الوضعية في الجغرافيا . تُركز الجغرافيا الإنسانية على التجربة الفردية للمكان ، وتشير إلى أن النظريات العامة تُهمل التصورات الفريدة للأشخاص والمجموعات . بعض العناصر في هذا الفرع من الجغرافيا تبنت أفكارًا من الظاهراتية والوجودية ، مؤكدةً على حس المكان بدلًا من هندسته المجردة . كان كتابا "طوبوفيليا" ليي فو توان، الصادر عام ١٩٧٤، و"الفضاء والمكان : منظور التجربة" ، الصادر عام ١٩٧٧، نصين مهمين . بالنسبة لآخرين ، أتاحت رؤى التأويل للجغرافيا البشرية أن تُوضع ضمن العلوم الإنسانية بدلًا من العلوم الاجتماعية .

كان الفكر الماركسي متأخرًا نسبيًا من حيث تأثيره في الجغرافيا ، مقارنةً بتخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى . ويمكن عده جزءًا من مسار أوسع للجغرافيا الراديكالية . لقد أدخلت الجغرافيا الماركسية حجج الماركسية ، وخاصة الاقتصاد السياسي ، في التحليل الجغرافي ، كما قدمت أيضًا عنصرًا مكانيًا في الماركسية . في الأول ، هناك تركيز على مسائل القيمة والإيجار والاستيلاء . أما الثاني، فقد يكون أكثر تحديًا ، إذ يحاول معالجة اختلال التوازن في المادية التاريخية ، مع التركيز على الصدفة الزمنية ، من خلال مادية تاريخية وجغرافية ، تتخذ من الفضاء سياقًا حاسمًا ومحددًا لجميع التفاعلات والصراعات الاجتماعية.

كان كتاب ديفيد هارفي "العدالة الاجتماعية والمدينة" ، الصادر عام ١٩٧٣، نصًا وسيطًا حاسمًا في إدخال الأفكار الماركسية في الجغرافيا ، ولكن يمكن القول إن كتابه "حدود رأس المال" ، الصادر عام ١٩٨٢، هو الذي كان له تأثير أعمق . تسعى هذه الدراسة إلى ملء "الصناديق السوداء" للفكر الماركسي من منظور جغرافي . كما كان لكتاب الفيلسوف الماركسي الفرنسي هنري لوفيفر "إنتاج الفضاء" ، الصادر عام ١٩٧٤، والذي تُرجم لأول مرة عام ١٩٩١، تأثير مهم . في هذا العمل ، قدم لوفيفر ملخصًا للنظريات الفلسفية للفضاء ، ويقترح فهمًا له من خلال مزيج من السمات المادية والفيزيائية ؛ الفضاء المُتصوَّر ذهنيًا ؛ والفضاءات المُعاشة للتفاعل الاجتماعي. يقترح بحثًا تاريخيًا لهذه الفضاءات المختلفة ، مُتحدِّيًا في الوقت نفسه التصورات الماركسية التقليدية للزمان والمكان .

أثبت عدد من المفكرين الماركسيين الآخرين تأثيرهم في هذا المجال . يُعدّ عمل ألتوسير حول الأيديولوجية والسلطة في الدولة الحديثة ، وعمل غرامشي حول الإنتاج الفوردي والهيمنة وبنية العمل السياسي ، مثالين آخرين بالغي الأهمية ، إلا أن آثار النهج والسياسة الماركسيين منتشرة على نطاق واسع . وتستخدم الجغرافيا الراديكالية أيضًا مناهج أخرى ، مثل الفلسفة النسوية والفكر الأناركي . ولعلّ مساهمتها الرئيسية تكمن في إعادة طرح المسألة السياسية ضمن الجغرافيا . ويعتمد الفكر النسوي في الجغرافيا على مجموعة من المفكرين ، كثير منهم - مثل جوليا كريستيفا ولوس إيريغاراي - ينخرطون في إعادة قراءة نسوية للتراث الفلسفي الغربي .

ما بعد الوضعية في الجغرافيا المعاصرة

إلى جانب البدائل التي تقدمها الإنسانية والجغرافيا الراديكالية ، واجهت الوضعية تحديات من مناهج أكثر علمية . وقد أثبتت حجج فلاسفة العلم ، مثل توماس كون وبول فايرابند ، تأثيرها في إعادة النظر في

تطور المعرفة العلمية ، مما ساعد البعض على التفكير في التقدم الجغرافي . اقترح كون ، في كتابه "بنية الثورات العلمية" ، عام ١٩٦٢، فهم التطور العلمي من خلال مفهوم النماذج ، التي توفر إطارًا للفهم يتم من خلاله العلم . وبالتالي ، فإن معظم العلوم "علم عادي" ، يعمل ضمن قواعد وقوانين متفق عليها مسبقًا . بعض العلوم فقط هي التي تتحدى حقًا ، مما يفتح المجال أمام تحول نموذجي .

جادل فايرابند في كتابه "ضد المنهج" ، عام ١٩٧٥، بأنه لا يوجد نموذج واحد لمقاربة العلم ، وأن فرض نموذج واحد من شأنه أن يعيق التقدم العلمي . كان يعتقد أن هذه التعددية النظرية أقل تقييدًا للعلم . في الجغرافيا البشرية ، كان لمجموعة من الفلاسفة المعاصرين تأثيرٌ في الجغرافيا . وقد صُنّف العديد منهم تحت عنوان النظرية الاجتماعية / المكانية أو الاجتماعية المكانية ، ولكن يُمكن أيضًا ، وربما الأفضل ، فهم رؤاهم على أنها فلسفية . كان لميشيل فوكو وجاك دريدا وجيل دولوز تأثيرٌ في جغرافيا ما بعد بنيوية واسعة النطاق . وقد انصبّ هذا على تحدي النطاق التخصصي لماهية الجغرافيا ، والثنائيات التي كانت الجغرافيا التقليدية تميل إلى التفكير بها ، والتركيز على العناصر العاطفية والثقافية وغير المنهجية للتفاعل بين البشر والعالم .

إن قلب العلاقة في الاتجاه الآخر - أي التساؤل عن جغرافيا الفلسفة - هو طرح لمجموعة واسعة من القضايا . في حين أن بعض هذه المناهج قد تُشبه الحتمية الجغرافية ، إذ تُحدد أنواعًا معينة من الأفكار ضمن مكان أو تقليد معين ، إلا أنه يُمكن إنجاز عمل أكثر إنتاجية . يتحدث الفلاسفة بانتظام عن الفكر الفرنسي المعاصر، والرومانسية أو المثالية الألمانية ، والتجريبية الإنجليزية ، والتنوير الاسكتلندي ، على سبيل المثال ، وهناك جدل مطول حول ما إذا كان هناك ما يُسمى بفلسفة أمريكية مميزة . وقد قام جغرافيو الفكر والعلم، مثل تريفور بارنز، وآن جودليوسكا، وديفيد ليفينغستون، وتشارلز ويذرز، بأعمال أكثر إنتاجية . في كتابهما الأخير، "ما هي الفلسفة؟"، اقترح دولوز وفيليكس غواتاري مفهوم "**الفلسفة الجغرافية**"، الذي زعما أن نيتشه هو من أسسه .

ولكن ربما تكون المسألة الجغرافية الأكثر إثارة للاهتمام هي الطريقة التي تُدار بها معظم مناقشات الفلسفة - بما في ذلك هذه الرواية - حول الفلسفة الغربية ، تلك الفلسفة التي يمكن استخلاصها من سلالة تعود إلى اليونان القديمة . وهذا ، بالطبع ، يُهمل فكرًا مهمًا له جذوره في الهند والصين أو غيرها من المواقع غير الغربية . ونادرًا ما يُدرّس هذا في برامج الفلسفة ، وكان تأثيره أقل بكثير على التفكير الفلسفي في الجغرافيا . باختصار ، من الواضح أن العديد من القضايا التي تهم الجغرافيين قد خضعت أيضًا لتحليل الفلاسفة . لطالما استندت الجغرافيا إلى مواقف فلسفية ، ولكن حتى وقت قريب نسبيًا، لم تُدرس هذه المواقف إلى حد كبير.